الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ١٩٢٠/١٢/٢٧

متحف الآثار القبطية

بقلم مؤسسه صاحب السعادة سمبكه باشا

الفنون المصرية — المتحف القبطي — محتويات المتحف — المكتبة — اعانة الحكومة — الزائرون — كلمة شكر

اذا كان من المسلم به أن الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والحفر والموسيقى من دلائل المدنية ومميزاتها عند الأمم القديمة والحديثة. وعلى قدر القسط الذي يكون لكل أمة من تلك الفنون يكون الحكم على مقدار مدنيتها كمالا أو نقصاً. فالمدنية المصرية على هذا القياس يحق لها أن تكون من أمهات المدنيات الغابرة بما دلت عليه آثارها الخالدة من مهارة المصريين ونبوغهم في الفنون الجميلة من عهد قديم جدا وما سبقوا به سواهم في صناعتي الحفر والتصوير بنوع خاص

يشهد لهذا النبوغ ان المدنية الاشورية مع التسليم بأنها تعادل في القدم مدنية الفراعنة لم تعمر طويلا ولم تغالب الاجيال فضاعت معالمها وطمست آثارها الا النذر اليسير منها. كذا المدنية اليونانية وهي احدث عهداً من المدنية المصرية وان كان لها بعض الآثار في جزر البحر الابيض فان شعلة حياتها فيما عدا تلك الجزر قد انطفأت، وما يرى اليوم في غير تلك الجزر من بلاد اليونان القديمة من آثار تلك المدنية العجيبة لا يرجع تاريخه الى اكثر من القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، ولم تبق الا المدنية الرومانية وأبعد آثارها عهداً بالوجود لا يتجاوز الالف سنة قبل الميلاد

أما مصر فبقيت فنونها حية ماثلة للاعين حافظة بجمالها الرائع وحيتها الاولى من عصور موغلة في القدم الى اليوم. حتى ان من بين تماثيلها ما رده بعض علماء الآثار الى ٤٠٠٠ سنة وأرجعه بعض آخر الى ٥٠٠٠ سنة قبل التاريخ الميلادي. ولم يكن تقلب الدول على مصر وتغلب الفاتحين الاجانب عليها بعد ان دالت دولها الوطنية بقادر على محو معالم تلك المدنية أو بمقلل من عظمتها الفنية الباقية على الدهر. بل هي بالعكس اجتذبت اليها المدنيات الوافدة عليها وادمجتها فيها فاتصلت المدنيات الفرعونية واليونانية والرومانية الوثنية فالمسيحية والعربية بعضها ببعض كأنما هي حلقات السلسلة. ووقف الفاتحون خاشعين أمام تلك الهياكل والبرابي والمدافن والاهرام والمسلات وأمام تماثيل الآلهة والملوك والكهنة التي أودعها المصريون كل عبقريتهم وخلاصة ذكائهم الفني فحدابهم ذلك الى التشبه بالفراعنة في أقامة النصب وتعمير المعابد تخليداً لذكراهم. وهكذا اتصلت عصور الفن في تاريخ مصر بعضها فلم يتخللها قطع ولا فراغ

ولما تغلبت الديانة المسيحية على مصر منذ نيف وأربعة عشر قرناً أبقى المنتصرون على كثير من هياكل آلهتهم القديمة وحولوا معابد ايزيس واوزيريس وهوريس الى كنائس وقبوا فوقها الصلبان، واستعاضوا عن صور الالهة الوثنية بصور السيد المسيح ورسله واستخدموا المذابح لتقديس العشاء الرباني كما يشاهد ذلك للآن بالهياكل والبرابي الموجودة باسوان والكرنك والاقصر وليشوا هكذا الى ان تسنى لهم تشييد كنائس جديدة على طراز آخر هو الطراز البيزنطي مثل الديرين الابيض والاحمر بالقرب من سوهاج وكنائس قصر الجمع المعروف بقلعة بابيلون. وجاء الفتح العربي فأدخل الى البلاد نوعاً جديداً من فن الزخرفة والهندسة البنائية يفوق في الجمال كلما تقدمه أذيدل تصوير الاشخاص والحيوانات والطيور وغيرها مما هو معدود من مميزات الفن في العصور الوثنية والمسيحية بالآيات الكتابية والاشكال الهندسية البديعة التنسيق

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ولما كانت عناية الحكومة السلطانية قد تناولت المحافظة على جميع الآثار اذ حوى المتحف المصري بالقاهرة كثيرا من النماذج والامثلة من الفنون المصرية في العصور الفرعونية وضم المتحف التابع لمجلس بلدية الاسكندرية نماذج أخرى من فنون العصور اليونانية والرومانية كما جمعت دار الآثار العربية أمثلة العصر العربي فلم يكن باقياً لاتمام هذا المربع سوى ضلعه الرابع وهو نماذج الفنون في العصر المسيحي

وأول من لفت الانظار الى جمال الفنون المصرية في العصر المسيحي ووجه الانتباه الى آثارها البادية فيما بقي من الكنائس والاديرة على رغم تصاريف الحدثان هو العالم الانكليزي الدكتور الفرد بطلر في كتابه « الكنائس القبطية القديمة بمصر » والف بعده المستر سمرز كلارك كبير مهندسي كنيسة القديس بولس الشهيرة سابقا بلندن كتابه « الآثار المسيحية في وادي النيل » وكان هذان المؤلفان ولاسيما أولهما داعياً الى التفكير في صيانة تلك الآثار. فتقدمت في سنة ١٨٩٥ الى الحكومة السنية طالباً منها ان تضع الكنائس القبطية الاثرية تحت عناية « لجنة حفظ الآثار العربية » فصادف طلبي لديها حسن القبول. ثم خطرت لي بعد ذلك فكرة انشاء متحف قبطي فعرضتها على غبطة البطريرك المعظم الانبا كيرلس الخامس فلقيت منه عظيم الارتياح وبمعونة غبطته اقدمت على تنفيذها. وبدىء اولا بتخصيص غرفتين لذلك في بناء كنيسة المعلقة الاثرية بمصر القديمة، وهي كنيسة قائمة على أبراج الحصن الروماني الذي شاده الامبراطور تراجان في اوائل الجيل الثاني للميلاد ولم يزل قائماً به الى اليوم الباب العظيم الذي دخل منه عمرو بن العاص.

وكان افتتاح المتحف في سنة ١٩١٠ بحضور غبطة البطريرك والمرحوم فخري باشا وزير الاشغال ومسيو بوانيه سكرتيرها العام. ومن ثم أخذت في زيارة الاديرة والكنائس في انحاء القطر وحصلت على ما استطعت الحصول عليه من الايقونات والكتب المخطوطة والصلبان والاوانى الذهبية والفضية والنحاسية والملابس الكهنوتية ويرجع بعض هذه التحف الى اجيال ماضية. ولا يزال شيء غير قليل من ذلك باقياً في حوزة بعض الكهنة والرؤساء ووجهت الدعوة في الوقت ذاته الى البيوتات القبطية العريقة والاسر الغنية فأهدى الى المتحف كثيرون من حضرات مطارنة الاقباط وأساقفتهم وأعيانهم أشياء ثمينة مختلفة. وتبرع غيرهم بأموال استخدمت في شراء ما وجد من التحف والنفائس عند التجار قبل ان يتسرب الى عشاق الآثار القديمة في الخارج كما تسرب غيره مما يملأ اليوم متاحف أوربا. وأخذ المتحف يتسع نطاقه شيئاً فشيئاً وتزايد التحف المودعة به زيادة متواصلة الى أن أصبح اليوم يشغل مكانه الحالي الذي شيد خصيصاً له على طراز قبطي قديم بملاحظة المرحوم هرتس باشا وجناب مسيو باريكولو باشمهندس لجنة حفظ الآثار العربية وهو واضع رسومه وتصميماته ومساعدة حضرة القمص يوحنا شنوده رئيس كنيسة المعلقة. وجميع غرف هذا البناء مغطاة بسقوف خشبية من نفيس الصناعة الدقيقة القديمة وكذلك نوافذها بمشربيات الخرط العديمة النظير وقد عثر على هذه المصنوعات وعلى الاعمدة الرخامية التي قام عليها البناء في اخرائب القديمة التابعة لاوقاف الاقباط بالقاهرة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ويحتوى المتحف الآن :

أولا — على مجموعة من الآثار الحجرية والرخامية والجرانيتية وبقايا توابيت الموتى التى يرجع تاريخ بعضها الى أقدم العصور

ثانيا — مجموعة من الفخار المنقوش والخزف المصقول والزجاج المدهون

ثالثاً — مجموعة من المصنوعات الخشبية وهذه المجموعة نفيسة جداً وتتألف من مذابح قديمة وأحجبة وأبواب للهياكل وصناديق ومقاعد وغيرها يرجع تاريخ بعضها للجيل الرابع للمسيح . ومن ألواح منقوشة نقوشاً بارزة تمثل حياة السيد المسيح وصور القديسين . والحياة المنزلية وصور طيور وحيوانات . وبعض هذه النقوش مطعم بالسن وبعضها قد أنزل فيه الصدف وآيات مقدسة بالقبطية والعربية

رابعاً — مجموعة من الادوات المعدنية كالصناديق الفضية المنقوشة بالنقش البارز لحفظ الكتاب المقدس والمزخرفة بالكتابات الجميلة البارزة أيضاً وبعضها مرصع بالحجارة الكريمة — وفي هذه المجموعة عدد من آنية الخدمة الدينية وعكاكيز البطاركة والصلبان الكبيرة والصغيرة ذهبية وفضية ونحاسية وتاريخها قديم جداً

خامساً — مجموعة من الملابس الكهنوتية الحريرية المطرزة بخيوط الذهب والحرير الملون وقد وشيت برسوم الشهداء والصلبان والآيات الكتابية. فضلا عن أستار الهياكل والاعلام الخاصة بالاحتفالات وكلها مزركش كذلك

سادساً — مجموعة من الايقونات التي تمثل حياة السيد المسيح وصور القديسين أيضا

سابعا — مجموعة من المؤلفات الدينية المكتوبة بخط اليد على رقوق أو على ورق قديم جدا وبعضها رسمت عليه بماء الذهب والالوان المختلفة أشكال هندسية وصور الشهداء

وقد تفضل حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد أيد الله بالعدل دولته وأتم على هذه الامة في ظل عهده الميمون نعمته فجعل حفظ الله عظمته للمتحف القبطى حظاً كبيراً من عنايته العالية اذ اشار بانشاء مكتبة بالمتحف تضم كل ما كتب عن الاقباط وتاريخهم ولغتهم بسائر اللغات . وهي فكرة سامية ستتخذ التدابير اللازمة للعمل على تنفيذها في القريب العاجل — ويطلق على المكتبة اذ ذاك اسم عظمته تيمناً باسم أعظم نصير للعلوم والفنون في هذه الديار

وبعد انشاء المتحف تفضلت حكومة عظمة مولانا السلطان فوهبته اعانة مالية مقدارها مئتا جنيه سنويا ثم زادتها الى ٣٠٠ جنيه منذ سنة ١٩١٨ على ان نفقاته لاتقل في الوقت الحاضر عن ١٠٠٠ جنيه في السنة بالنظر لارتفاع الاثمان والأجور . ومعظم هذا المبلغ يجمع بطريق التبرع من أعيان الاقباط . وهذا غير ما يجمع لأجل التجديدات المتتابعة في أبنية المتحف مما يقتضيه النمو المتواصل في محتوياته

ولم يكد المتحف يستتم وجوده حتى أخذ يؤمه العدد الجم من الزائرين وأخصهم العلماء ورجال الدين والوزراء والعظماء والاعيان من الاجانب والوطنيين

والمتحف مدين لكثيرين من أهل الفضل بما بلغه الى اليوم من مراتب النجاح . نذكر في مقدمتهم ساكن الجنان المغفور له السلطان حسين كامل وغبطة البطريرك المعظم وحضرة صاحب السمو الامير يوسف كمال وأصحاب الدولة والمعالي رؤساء الوزارات ووزراء مصر السابقين وجناب السير بول هارفي والمرحوم السير الدون غورست وحضرات الافاضل الاجلاء آل ويصا وداود بك تكلا وخليل باشا ابراهيم والمرحومين يعقوب أرتين باشا والكومندور واصف جريس والخواجه امين خياط وواصف بك غالي وغيرهم من الوجوه

غير أننا مهما شكرنا أهل الفضل الذين ساعدونا ووصفنا الجهود التي بذلناها جميعاً في سبيل رقي هذا المعهد فان الخطوة التي نخطوها في هذا اليوم وحده لأوسع من كل خطواتنا في ذلك الأمد الطويل

فان مولانا السلطان فؤاد حفظه الله نسج على منوال الملوك العظام الذين قرنوا الملك بالعلم وعضدوا المشروعات العلمية والفنية ولم يصرفه سؤدد الامارة الى راحة الجاه بل وهب شبابه للعلم . وقدم همته وتهوذه وهو أمير لنصرة المشروعات العلمية والاجتماعية فلما ارتقى عرش أجداده زاد عطفه على كل مشروع يؤدي الى رقي الحضارة والعلم والعرفان في البلاد المصرية وزادت مساعدته الكريمة لها . فزيارة مولانا السلطان اليوم لهذا المتحف ستكون باذن الله فاتحة عصر جديد في نموه واتساعه وابلاغه غاية الكمال ولذلك نتقدم لأعتابه الكريمة شاكرين لعظمته تعطفاته السنية وميوله الأبوية طالبين الى المولى سبحانه وتعالى أن يطيل في ملكه ويجعل الخير يعم بلادنا المحبوبة في أيامه انه السميع المجيب آمين

مرقس سميكه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية